

المشكلة الجزئية الأولى : في الإحساس والإدراك

العنصر : عوامل الإدراك

السؤال : هل الإدراك تجربة ذاتية نابعة من الشعور أم محصلة نظام الأشياء ؟

المقدمة : معروف عن الإنسان أنه كان حيوياً يمتلك مجموعة من الوظائف والقدرات التي تمكنته من الحفاظ على بقائه وإستمراره وتعينه على التكيف مع محيطه ومن هذه القدرات نجد قدرة الإدراك الذي يعتبر عملية عقلية علياً معقدة يتم فيها تفسير وتأويل وترجمة المؤثرات الحسية التي تنقلها الحواس إلى المراكز العصبية وبهذا يتعرف الإنسان على ما يحيط به غير أن البحث في عوامل الإدراك وطبيعته قد كان محور اهتمام العديد من المفكرين وال فلاسفة خاصة أصحاب المذهبين الظواهري و الجسطالي إذ يعتقد أنصار المذهب الأول بأن الإدراك لا يحدث إلا نتيجة تفاعل بين الشعور والموضوع المدرك فقط في حين يشكك أنصار المذهب الثاني في هذه الحقيقة ويعتبرون أن نظام الأشياء هو المصدر الوحيد الذي يبني عليه الإدراك وفي ظل هذا الجدل القائم يثار التساؤل التالي : هل يعود الإدراك إلى الشعور أم إلى نظام الأشياء ؟

العرض (محاولة حل المشكلة) :

1 - عرض منطق الأطروحة : يرى أنصار النظرية الظواهيرية (الفينومينولوجية) وفي مقدمتهم إدموند هوسيل وموريس ميرلو بونتي بأن الإدراك يتوقف على تفاعل بين عاملين هما الشعور والموضوع المدرك معاً لأن كل شعور على حد تعبير ميرلو بونتي هو شعور بموضوع لذلك نجده يقول : ((إن الكيفية لا يقع الإحساس بها مباشرة أبداً فكل شعور إنما هو شعور ي شيء ما))

إن العالم الموضوعي الخارجي في نظر ميرلو بونتي هو نتاج متاخر لشعورنا لهذا فالعملية الإدراكية في جوهرها حالة شعورية ومنه فالعالم الموضوعي ليس العالم الذي أفكر فيه بل هو العالم الذي أعيشه بالشعور والذي ينقل صوره الإحساس كما أن هذه النظرية تنتقد التفسير العقلي الذي يعتبر الإدراك حكماً عقلياً وتوارد أن الإدراك حالة نفسية تابعة للشعور وتتغير بتغير أحواله إذ أن هوسيل يعتبر الإدراك متغيراً فيقول : ((إن إدراكتنا للأشياء ليس إدراكتا ثابتة فالثابت هو الأشياء نفسها ... إن إدراكتنا الذي يتألف من شعورنا الراهن يابراكت شيء ما لا يليث أن يتغير وتبعد ذلك يتغير الإدراك المتألف من هذا الشعور))

ويقول أيضاً : ((أرى بلا انقطاع هذه الطاولة سوف اخرج وأغير مكانى ويبقى))

عندى بلا انقطاع شعور بالوجود الحسى لطاولة واحدة هي في ذاتها لم تتغير وأن

الإدراكي لها ما فتى يتتوعد انه مجموعة من الإدراكات المتغيرة)) وهذا ما دفع

الظواهريين إلى الاعتقاد أن " الثابت هو الأشياء نفسها والمتغير هو الإدراك "

والإدراك عند الظواهريين يكون أوضح من خلال شرطين هما القصدية والمعايشة

أي كلما اتجه الشعور إلى موضوع ما واتصل به يكون الإدراك أسهل وأسرع

وخلاصة هذه النظرية وخلاصة هذه النظرية عبر عنها ميرلوبونتي بقوله :

((الإدراك هو الاتصال الحيوي بالعالم الخارجي))

النقد : حقيقة أن للحياة النفسية الواقعية (الشعورية) دور في العملية الإدراكيّة ما

دام أن الشعور هو في حد ذاته إدراك واعي لكن إهمال دور العوامل الموضوعية

وفعاليتها في الإدراك ليس له ما يبرره ومنه فالشعور يصف الحالات الإدراكيّة ولا

يفسرها إن ربط الإدراك بوظيفة الشعور فقط يصعب معه التفرقة بين الحالات

الشعورية وموضوعاته ما دام أن الشعور هو دائماً شعور بشيء وعليه فما يعب

عليهم أنهم غلبوا كفة الشعور الذاتي للإدراك على العالم الخارجي وعوامله

الموضوعية (بنية الشيء وشكله) وهو ما يؤدي إلى العجز عن الحكم الموضوعي

لاختلاف التجارب بين الذوات المدركة أي أنهم جعلوا العالم الخارجي تحت سيطرة

الشعور ويتغير بتغييرهم وفي هذا إنكار لخصائص العالم الخارجي

2 - عرض نقيض الأطروحة : وعلى خلاف الموقف الأول يعتقد أنصار المدرسة

الجشطالية وفي مقدمتهم كوفكا ، كوهلم و فرتھیمر والفيلسوف الفرنسي بول

غليوم بأن الإدراك يتوقف على عامل موضوعي إلا وهو الشكل العام للأشياء أي

صورته وبنائه التي يتميز بها وحاجتهم في ذلك أن تغير الشكل يؤدي بالضرورة إلى

تغير إدراكنا له

ويستند أنصار هذا الاتجاه في تبرير موقفهم على الحجج التالية :

الحججة الأولى : إن الإدراك عند الجميع يمر بمراحل ثلاثة : إدراك إجمالي (صورة

أولية غامضة) وإدراك تحليلي للعناصر الجزئية (إدراك العلاقات القائمة بين

أجزاء الشيء المدرك) وإدراك تركيبى (ربط الأجزاء بالموضوع) وفي هذه

العملية ندرك الشكل بأكمله ولا ندرك عناصره الجزئية فإذا شاهدنا الأمطار تسقط

فنحن في هذه المشاهدة لا نجمع بذهننا الحركات الجزئية لل قطرات الصغيرة

التي تتألف منها الحركة الكلية بل أن الحركة الكلية هي التي تفرض نفسها علينا كذلك الشأن بالنسبة لسماع مقطوعة موسيقية فإننا ندركها كنفعة أساسية متماسكة وليس أن تسمع الآلات الوتيرية أولاً ثم تعقبها الآلات النفخية ثانياً ثم تليها الآلات الإيقاعية ثالثاً ... إلخ بل أنها كلها متداخلة في وحدة متميزة وعليه فالشخص يدرك الصيغة الكلية للشيء المدرك وبعد ذلك يأتي دور التفاصيل الجزئية التي لا بد لها أن تتكامل في هذا الكل والمقصود بالكل ليس مجموع العناصر التي يتتألف منها بل خصائصه العامة

الحجـة الثانية : كما أن أنصار هذه النظرية رفضوا التمييز بين الإحساس والإدراك فلا وجود لإحساس خالص ولا إدراك مجرد فالإحساس والإدراك حسب بول غيوم يكون نفعـة واحدة إذ يقول في هذا الصدد : ((ليس الإدراك تجـمـيعـاً للإحساسـات بل

يـتم نفعـة واحدة)) وبذلك فإن الإدراك ليس إدراكاً لمجموعة من الإحساسـات

المـنظـمة بـواسـطـة العـقـل بل هو إدراك لمجموعة من العـناـصـر المنـظـمة تـتنـظـيـماً

مـوضـوعـياً لأنـالـعـالـمـ الـذـيـ نـدـرـكـهـ لـيـسـ عـالـمـاـ منـ الفـوـضـىـ بلـ هوـ عـالـمـ منـظـمـ بـفـعـلـ

قوـانـينـ مـوضـوعـيةـ تـسـمـىـ بـقـوـانـينـ الـإـنـتـظـامـ وـهـيـ التـيـ تـجـعـلـ الشـخـصـ يـدـرـكـ

الـمـوـضـوعـ كـصـيـغـةـ أوـ شـكـلـ وـإـنـتـظـامـ هـذـهـ الـبـنـيـةـ أوـ تـفـكـكـهاـ هـوـ الـذـيـ يـحـدـدـ نـوـعـ الإـدـرـاكـ

بـلـ أـنـ تـبـدـلـهـاـ مـعـ تـبـدـلـ الـظـرـفـ الـخـارـجـيـ يـوـدـيـ إـلـىـ تـبـدـلـ الـمـوـقـفـ مـنـهـاـ وـأـهـمـ هـذـهـ

الـقـوـانـينـ نـجـدـ قـانـونـ الشـكـلـ وـالـأـرـضـيـةـ فـلـكـلـ شـكـلـ أـوـ صـورـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـخـارـجـيـ

أـرـضـيـةـ أـوـ خـلـفـيـةـ فـكـلـماـ كـانـ الشـكـلـ مـخـالـفـاـ لـأـرـضـيـةـ كـانـ إـدـرـاكـ أـسـهـلـ وـمـثـالـ ذـلـكـ

إـدـرـاكـ نـقـطـةـ سـوـدـاءـ فـيـ خـلـفـيـةـ بـيـضـاءـ يـكـونـ أـسـهـلـ بـكـثـيرـ مـنـ إـدـرـاكـ نـقـطـةـ سـوـدـاءـ فـيـ

خـلـفـيـةـ سـوـدـاءـ وـهـنـاكـ قـانـونـ التـشـابـهـ فـالـمـوـضـوعـاتـ وـالـأـشـيـاءـ الـمـتـشـابـهـةـ فـيـ الشـكـلـ أـوـ

الـحـجـمـ أـوـ الـلـوـنـ تـكـوـنـ سـهـلـةـ إـدـرـاكـ لـأـنـهـاـ تـشـكـلـ فـيـ مـجـمـوعـهـاـ كـلـاـ مـوـحـداـ مـثـالـ ذـلـكـ

أـنـهـ يـسـهـلـ عـلـيـنـاـ إـدـرـاكـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـجـنـوـدـ أـوـ رـجـالـ الـشـرـطـةـ لـتـشـابـهـ الـزـيـ أـكـثـرـ مـنـ

مـجـمـوعـةـ مـنـ الـرـجـالـ فـيـ السـوقـ أـوـ الشـارـعـ وـهـنـاكـ قـانـونـ التـقـارـبـ فـالـمـوـضـوعـاتـ

وـالـأـشـيـاءـ الـقـرـيبـةـ فـيـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ تـمـيـلـ إـلـىـ التـجـمـعـ بـأـذـهـانـاـ وـتـرـكـ بـسـهـولةـ فـيـ

وـحدـةـ أـوـ فـيـ شـكـلـ وـاحـدـ فـمـثـلاـ النـقـاطـ الـمـتـقـارـبةـ مـنـ بـعـضـهـاـ الـبعـضـ تـرـكـ كـخطـ مـسـتـقـيمـ

وـهـنـاكـ قـانـونـ الـإـغـلـاقـ وـنـجـدـ قـانـونـ الـبـرـوزـ فـكـلـماـ كـانـتـ الـمـوـضـوعـاتـ وـالـأـشـيـاءـ بـارـزةـ

سـهـلـ إـدـرـاكـهـاـ عـلـىـ خـلـافـ الـمـوـضـوعـاتـ غـيرـ الـبـارـزةـ الـتـيـ يـصـعـبـ إـدـرـاكـهـاـ مـثـلـ إـدـرـاكـ

سـفـنـةـ عـلـىـ سـطـحـ الـبـحـرـ وـهـنـاكـ قـانـونـ الشـمـولـيـةـ فـالـشـكـلـ الـمـرـكـبـ الـذـيـ يـتـأـلـفـ

مـنـ أـشـيـاءـ أـخـرىـ يـدـرـكـ كـصـيـغـةـ وـاحـدـةـ أـمـاـ أـجـزـاءـهـ فـلـاـ تـرـكـ إـلـاـ بـعـدـ التـمـعـنـ فـمـثـلاـ

النجمة السادسية عندما نمعن النظر فيها ماهي في حقيقة الأمر إلا مثليين متقاطعين وهناك **قانون الوضوح والبساطة** فكلما كانت الموضوعات والأشياء بسيطة وواضحة يسهل إدراكتها أما إذا كانت هذه الموضوعات والأشياء معقدة وغير واضحة صعب إدراكتها ونجد أيضاً **قانون المصير المشترك** مفاده أن الأشياء التي تقع في العالم الخارجي مرتبطة بشروط محددة إذا تمكّن الإنسان من معرفتها استطاع التنبؤ بها فكل شيء يؤول إلى نتيجة معينة فمثلاً تدرك أن الطفل إذا ما وضع يده على النار فسوف يحترق لذلك تجدها نصرفة عنها متى رأيناها يتوجه نحوها وفي أهمية هذه العوامل يقول بول غيوم : ((إن الواقع النفسي صور أي وحدات عضوية تتفرد وتتحدد في المجال المكاني والزهاتي للإدراك و تخضع الصور بالنسبة للإدراك لمجموعة من العوامل الموضوعية))

مما يعني أن الإدراك يعود إلى قوانين موضوعية

النقـ : صحيح أنه لا يمكن إنكار دور الموضوع المدرك في عملية الإدراك بحكم أنه يتضمن عوامل تسخير عملية الإدراك لكن ذلك لا يفسر أن الإدراك عملية موضوعية خالصة مستقلة عن نشاط الذات فلو كان الإدراك ذو طابع موضوعي محض لكان إدراكات الناس لموضوع واحد متطابقة إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك ويؤكد أن الإدراكات تختلف من شخص إلى آخر تبعاً لاختلاف العوامل الذاتية كما أن للحياة النفسية الوعائية (الشعورية) دور في العملية الإدراكية ما دام أن الشعور هو في حد ذاته إدراك واعي ثم إن العالم الخارجي ليس أوضح كل الوضوح إلى درجة يلغى دور الذات فلو لم نفسر وننقول ونعتمد على الخبرة السابقة لما أدركنا الأشياء على حقيقتها كما أن الالاحاج على أهمية العوامل الموضوعية في الإدراك وإهمال العوامل الذاتية لا سيما دور العقل يجعل من الشخص المدرك آلة تصوير أو مجرد جهاز استقبال فقط ما دامت الموضوعات هي التي تفرض نفسها عليه سواء أراد ذلك أم لم يرد مما يجعل منه في النهاية مجرد متلقي سلبي منفعته لا فاعل **التركيب :** الحقيقة أن الظواهرية لا تحل لنا الإشكالية لأن التركيز على الشعور هو تركيز على جانب واحد من شخصية الإنسان والحديث على بنية الأشياء يجعلنا نهمل دور العوامل الذاتية وخاصة الحدس لذلك قال باسكال : ((إنما تدرك بالقلب أكثر مما تدرك بالعقل))

و عليه فإن الإدراك عملية متكاملة و متداخلة تتم بتضادف الكثير من العوامل الذاتية مع العوامل الموضوعية فهناك شروط ذاتية متعلقة بالذات المدركة

ممثلة في الحالة العقلية و النفسية و الجسمية ... إلخ و أخرى موضوعية تتعلق بالموضوع المدرك و شروطه الخارجية التي يجب أن تتوفر حتى يتمكن الفرد من إدراك الأشياء على حقيقتها و معرفة العالم الخارجي بشكل كامل لأن الواقع يثبت التلامح و التزاوج الواضح بين الذات و الموضوع فالذات المدركة ترتيب المعرف و تنظيمها و تحللها و الموضوع الخارجي بشكله و بناؤه العام يؤثر و يتحكم في العملية الإدراكيّة و عليه فالعلاقة بين هذه العوامل هي علاقة تكامل و انسجام **الرأي الشخصي** : و أنا بدورِي أرى أن الإدراك ما هو إلا محصلة لمجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية فكل منها نصيب في تحديد إدراكتنا فالفرد باعتباره ذات فإنه يتأثر بحالته النفسية من فرح وحزن وتفاول وتشاؤم كما يتأثر بحالته الفيزيولوجية من صحة ومرض كما يتأثر بملكاته وخصائصه العقلية من انتباه وتركيز وشروع للذهن وذكاء وغباء وامتلاكه للتجارب والخبرات السابقة من عدمه ويتأثر أيضاً بمستواه الثقافي و التعليمي من تعلم وتنقُّف وجهل وآمية كما يتأثر بسنّه بين الرشد والصبا بالإضافة إلى وجود اهتمام وميل ورغبة لديه من عدمه كما أن للتعود والتوقع أثراًهما كذلك عليه وكذلك يتأثر بما يشعر به ونفس الشيء ينطبق على العوامل الموضوعية فهي تسهل للذات إدراك الموقف الخارجي **الخاتمة (حل المشكلة)** : وبناءً على ما سبق نستنتج أن الإدراك لا يرتبط بالعوامل الذاتية المتمثلة في الحواس ولا العوامل الموضوعية المتمثلة الصورة أو الشكل وإنما الإدراك عملية معقدة ومركبة تعود أساساً إلى تفاعل بين العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية فمن جهة يتكامل العقل مع التجربة الحسية كما قال كانت و من جهة أخرى يتكامل الشعور مع بنية الأشياء وبالتالي فالإدراك عملية لا يمكن تفسيرها بالذات المدركة فقط وإنما أيضاً بالموضوع المدرك والشروط المتحكمة فيه فرغم الجدل القائم حول عوامل الإدراك وطبعته إلا أن الإنسان ومن خلال الإدراك أوجد طرقاً للتكييف مع بيئته وبني جسمه